

واجبات الكاتب .

صحيح أن الحقائق نسبية ، وأن ليس كل ما يعلم يقال ،  
والأصح من ذلك أن تكون الحقائق مجردة ، والأذهان مهياة ،  
والخطاط واضحة مبسطة إن كان حاله ووضعه كحال السورين  
واللبنانيين ورضههم على التخصيص ، وحال ووضع شعوب دول  
الجامعة العربية بالنسبة لما هي مكتوبة به من احتلال وأسى ومن  
تدخل وبسط سيطرة ونفوذ هو بمثابة احتلال مبرقع .

وإيقاف الشعوب العربية على الحقائق السياسية فرض محتوم  
وواجب مقدس ، لا على الحاكم المسؤول الذي يريد أن يسير بأمره  
في طريق الإصلاح والتقدم والاستقرار فقط ، بل هو أيضا فرض  
محتوم وواجب مقدس على الكاتب الذي يساون الحاكم بقله ،  
وعلى قادة الرأي من الرجال الماملين والذين بمؤازرتهم ، وعلى

بظهور « الملاح الثالث » وصارت ضحى فتيا قد اشتد وجهه وعلا  
سناه بإخراج « لياليه » (٢) ؛ وإذا كان الشعر الحى : هو الذى  
ينبثق عن العاطفة ، ملونا بظلال النفس ، نابضا بتدفق الحياة ،  
فشاعرية « على طه » بارعة فنانة ، تأتي بالصورة الدقيقة فى البيت  
الرسين فيظن أنها تحت الباصرة مرئية واقعة ، وإلا فاصح  
مع الشاعر الخالم فى سماواته الكلى حين يقول :

إذا ارتق البدر صفحة النهر  
وضمنا فيه زورق يجرى  
وداعبت نسمة من المطر  
على عمياك خصلة الشعر  
حسوتها قبلة من الجمر

يا لها ألوانا مكسرة مخدرة ، تطير بالروح هياما ونشوة ،  
وتسيل بالنفس سحرا وغبطة ... بل يالوعة الفن الرفيع إذ يخلقه  
ربه وحيدا أسيفا .

برقيات

القاهرة

(٢) أعنى أن شعر الفقيذ ذو طورين « نشوء » و « ارتقاء » .  
وكل ديوان من الاثنين يمثل طورا .

## ما رأيت وما سمعت

### فى سوريتا ولبنان

للاستاذ حبيب الزحلاوى

— ٥ —

يستوى عندى غضب الناظب ورضى الراضى . ولست أبلى  
بأولئك الحكام الذين أزعجهم فأقلقهم ، وأثارهم فأغضبهم كلامى  
المتعمد من الحقائق ، وهى جارحة . وقد قلنا للشعب .  
لا للرب ذاتى ، ولغاية حزبية ، بل أردته لسبب  
واحد هو « ضرورة إيقاف الشعب على الحقيقة » وهذا أول

دعاهم ورممهم عن معانهم  
جرمى وصرعى وأشلاه وأحجارا  
والحرب شتى فنون أنت سيدها .  
إن حانت الملم ، أو لاقيت غدارا  
وهذا هو يقف لتحية أبطال القتال فى « الفلوجة »  
وسمااتهم فى أسلوب شيق جميل عن وقتهم الخالدة ، فى القرية  
المحصورة .

هاتوا حديث الحرب كيف تطاحت  
لكم منازعها ، وهات عصيها  
فى قرية محصورة كصفينة  
فى لجة هاجت وماج غضوبها  
لم تدر فيها الريح أين قرارها ؟  
والشمس أين شروقها وغروبها  
وهكذا فى كل ناحية نجده موهوبا راسخ القدم .

— ٣ —

أما شعر الفقيذ بين معالم النهضة فطرفة جريئة . أحدثت  
روحا جديدة ، لها لونها الخاص ، ومنهجها المماز . بدت تبشيرها

شرعية دستورية لا غبار عليها كالسيد شكري القوتلي ، وكل حاكم يتولى مقعد الحكم سواء كان رئيساً للجمهورية أم رئيساً للوزارة صم تيمده الجماهير وأصحاب الغايات والأفراض .  
عبادة الأصنام صفة أصيلة في الطبيعة الشرقية وهوى يلائم مزاجها ويدفغ سريرتها .

وعبادة الأصنام تماثل عبادة الموتى ، وكل ميت سواء كان عزيزاً علينا أو غير عزيز ، تسمو قيمته بمد الموت ، ويجعل قدره ، ويصبح له شخصية وإن كان إمعة ، وتاريخاً وإن كان نكرة ، سمعت في ما سمعت في سورية أحداث الناص في الحكومة القائمة ، سمعت شكوى من نصرتها فئسة من الشعب على فئة من الشعب ، وسمعت حمداً لها لوقوفها الحازم في لبنان تصفي مشكلتها معه في المصالح المشتركة ، وسمعت اتساماً في الرأي جبال موقوفها من الجيش يزجرها عن الإقدام على الانضمام إلى العراق وشرق الأردن ، وسمعت ثناء على نشاطها في السعي لسير قدماني بقاء ميناء الإلاذقية وإزالة العراقيل التي تؤخر استلام القرض السعودي ، وفي موقفها تصد الحكومات المريية عن التدخل في شؤونها الداخلية ، وسمعت أشياء كثيرة عن الحكومة القائمة تؤيد قول ابن الوردي القائل :

إن نصف الناس أعداء لمن ولي الأحكام هذا إن عدل

وسمعت الإطناب في امتداح أعمال الوزير السابق السيد خالد العظم لدقته في تصريف الأمور الإدارية على أكمل وجه ، وسمعت نقداً لمدح على قدرته الجمع بين دقة الإدارة ودقة السياسة ، وسمعت من يمتطف عليه ولم أر من يكنى بمدحه عن الحكم .

ورأيت ناساً يبيكون حسنى الزعيم ، لا لصفات فاضلة فيه ، بل لأنه كان يريد أن يعمل ، ولأن الشعب قد سمع أن صلاح الشعوب متوقف على وجود « مستبد عادل » وكان مرجواً أن يكون الزعيم ذلك « الرجل المنتظر » ولكنه ذهب فليرحمه الله ، وليحسن إليه . وسمعت من يهلل للسيد شكري القوتلي ويتحزب له ، ويطلب

ضوء آرائهم يسير الحاكم بخطى وطيدة مع الشعب لتحقيق رسالته . بهذا تكون الصلة وثيقة ، والروابط قوية بين الحاكم والمحكوم . أما إذا كان الحاكم غير ديمقراطى بالترعة ، وكانت له قواءد وقوانين دستورية كما هو الحال ، وكان ممن يلبس الوجه البشوش والشر الباسم للأجنبي المحتوى الطامع ، وبطاطى له الرأس كما هو الواقع ، ويلبس للشعب جلد الأسد المحصور المكشور عن أنيابه ، يعمل بالسر عكس ما يقول ويبطن ، وكانت له صحافة طيبة المراس . لجنة المعجينة ، يتسابق ، كتابها في إيقاد أقلامهم فيجعلون منها ناراً هادئة تحرق البخور العطر للحاكم وتضليل للشعب كما هي الحقيقة ، فقل السلام والرحمة على ذلك الشعب الحكيم ، واعلم أن نكبتة بمحكمة وصحافته أظلم وأدهى من نكبتة بالمستعمر الطامع ، وأن مصيره بعيد عن القاية التي أوهموه أنه سائر إليها .

وقف فلان من صديقه الحاكم يقول له في معرض الحديث « إن الحاكم القوى بعمله لا يخشى صاحبة الجلالة ، محلية كانت أو غير محلية ، ووددت لو بزاد في عهدك عدد الأقلام المعارضة فتكون لك خير نبراس للهدى » فيؤمن الحاكم النير الذهن ويمد بأن يشجع الصحف المعارضة ليسترشد بها ، وإذا بهذا الحاكم النير الذهن يوعز إلى زبائنه في قلم مراقبة الطبومات أن تنزع من صحيفة الرسالة الصفحات التي فيها مقال « ما رأيت وما سمعت في سوريا ولبنان »

• • •

من هو الحاكم؟ الحاكم في حكومة جمهورية فرد من أفراد الشعب توفرت لديه الكفاية من موهبة وعلم وعزيمة؛ ينتخبه نواب الأمة للعمل في خدمة الشعب . والحكام الذين تداولوا مقاعد الرياسة في سورية على نوعين ، نوع اختارته السلطة الأجنبية المحتلة ، وفرضت رياسته على الشعب فرضاً كالشيخ ناج الدين الحسيني وعمد على العابد وسواهما ، ونوع اسطفته الأمة ، وولته الرياسة نواية

كنا نسميه ، وإذا كان يقطع آلاف الأميال متنقلا بين الشام ومصر والحجاز والرياح واليمن في العمل المتواصل لاستقلال سورية وإزاحة نير الفرنسيين عنها ، ولا امشترات من الحسنة تسيطرها الوطنية له بحروف من العنصر ، وبرغم هذه الحسنة وسواها مما يبرفها له كل -سوري ؛ أقول إنه لا يستأهل الرحمة ولا الفران لأنه أكرم في حق نفسه ، ثم في حق وطنه ثم في حق دستور بلاده ؛ ولذلك يحسن أن يستمع إلى نصيحة الأمة تقول له بمودة وإشفاق « اذهب أيها الإنسان إلى مفناك لأنك لعبت دورك ففشت » .

الحكم الدستوري تقليد لا تخليد ، ولكن السيد القوتلي وهو أول رئيس جمهورية سورية المستقلة ، قد عبث بالدستور ، وسخر نواب الأمة لخدمتهم ، يتعلمون له مادة في صلب القانون الأساسي تبيح إعادة انتخابه للرئاسة أكثر من مرة . فهذا العبث الصارخ جراً الأمة على الاستهانة بدستورها وعلى تحويره وتبديله كما طاب لشیطان من الشياطين إشباع شهوته من الحكم ، وهذا العبث الإجرامي هو الذي مهد السبيل للانقلابات الثلاثة . وهو الذي حمل ضباط الجيش على ذبح بعضهم بعضاً . وهو الذي بذر بذور فتنة أسأل الله أن تحتقن في مهدها . وهو الذي أتى « خيوط الحرير في الشوك » وقال لأعدائه أن يتشبثوا بمطالبة الحكومة القائمة بالنفاذ الدستور ، وعمو القوانين التي سنها النواب للمحاكم ، واعتبار ما قام على الفساد فهو فاسد ، وإعادة ما كان أيام حكمه السعيد إلى ما كان عليه ، وأن يصرحوا النواب ورئيس الجمهورية ويقبضهم ثم ليعود نفاذته إلى مقر حكمه ، وصولجان ملكه .

قليل من العقل يارجل دمشق . قليل من الرصانة التي عرفتم بها ، لا تضيعوا الوقت في نباحات أفلاطونية وعمومات لا طائل نحتها . إن سورية لا تموت وهي ما برحت تنجب الرجال ؛ فلا تعبدوا الأصنام ولا تتركها إذا هوت وانطرحت في الرغام .

صبيح الزملاوي

بعودته إلى الحكم ، ورأيهم يتلون آثامه بدموعهم ، ويطمرونه من الحطيات بيزان قلوبهم ، وينتفرون له ما تقدم من جرائمه وما تأخر من إجرامه ، ونسوا أنهم هم الذين هلاوا يوم أسقطه الزعيم من أريكة الرئاسة ، وهم الذين كبروا يوم سجنه الزعيم في سجن اللصوص والقتلة ، وهم الذين طلبوا رأسه ، وهم الذين نصبوا الزينات في شوارع البلد ونشروا ألوية الفرع ابتهاجاً بسقوط شكري القوتلي الذي قتل كذا وكذا وكذا وكيت وكيت .

كل حاكم في كل بلد صنم يعبد الناس ويرجونه ، ومن سخرية الزمن أن عباد الحكم يتقابلون إلى كافرين ومجرمين ، وأن أتباع الحكم يتطورون ساعة سقوط الحاكم إلى زبانية ومجذفين ثم لا يلبث غضبهم أن يؤول إلى رحمة وشفقة بالحاكم الصريع ، يقولون مثاره ، ويعسحون دموه ، وينشفون عرقه ، ويضمدون جراحه ، ويواسون آلام نفسه ، ثم يهملونه وينسونه .

هذه صورة لمصير كل حاكم في كل شعب ، وفي كل زمان ، ولكن هذه الصورة لا تنطبق على حال السيد شكري القوتلي بدليل أنه بمت بعد أن مات ، وتقمص بعد أن فنى واضمححل .

وأنا أقول إن الذي يهوى ويسقط لا تقوم له قائمة . وإن الصيحات التي نسمها هنا وهناك ، فينة بعد فينة ، إن هي إلا صراخ صبية في ريعان الصبي ترملت بعيسد الزواج معناه الإعلان الصريح عن حياة جديدة مع زوج جديد ، أما الزوج الميت فلا يبعث .

الرئيس القوتلي في نظري هو من آخر من يستأهل الرحمة من كافة طبقات الشعب ، لأنه السيد شكري القوتلي صاحب الصفحات المسطورة في تاريخ الجهاد الوطني منذ انبثاق هذا القرن ، ولا لأنه صاحب الجلد القوى والمزينة الجبارة في محاربة الصنانيين ومقابلة الفرنسيين والاستمانة عليهم بالألسان تارة وبالإنجليز تارة أخرى ، ولا لأنه كان « الحركة المستديمة » كما